العُنْفُ
دَمَارٌ لِلْحَيَاةِ

قَالُوا فِي الْعُنْفِ

عِنْدَمَا أَتَجَوَّلُ فِي الشَّارِعِ، أَتَلَقَّى عِبَارَاتٍ نابيَةً، أَوْ نَظَرَاتٍ جَارِحَةً. . إِنَّهُ شَيْءٌ غَرِيبٌ... أَصْبَحَ ذَلِكَ يُخِيفُنِي. وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ أَعِيشُ مُنْعَزِلاً

إِيمَانْوِيل بِيتِيت

مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي رمَى فِيهِ الْإِنْسَانُ الْقَدِيمُ حَيَوَانًا صَغِيرًا بِحَجَرٍ، بَدَأَ اسْتِخْدَامُ الْعُنْفِ لِصُنْعِ الثَّرْوَةِ.

أَلْفِين تُوفْلَر

اَلْعُنْفُ وَحْش مَجْنُونٌ إِذَا أَطْلَقْتَهُ لَا يُمْكِنُكَ أَبَدًا أَنْ تُسَيْطِرَ عَلَيْهِ...

بِلَال فَضْل

اَلِانْتِقَامُ هُوَ دَائِمًا أَعْنَفُ مِنْ الْعُنْفِ ذَاتِهِ...

وَاسِينِي الْأَعْرَج

العُنْفُ عَبْرَ الأَجْيَالِ

سَيَذْكُرُ القَرْنُ العِشْرُونَ بِأَنَّهُ القَرْنُ ٱلْمَوْسُومُ بِالْعُنْفِ، إِنَّهُ يَحَمِّلُنا مَوْرُوثًا هَائِلًا مِنَ الدَّمَارِ وَالْخَرَابِ والتَّدْمِيرِ الشَّامِلِ ٱلَّذِي لَمْ يُشَاهَدْ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا فِي تَارِيـخِ البَشَرِ. وَلَمْ يَكُنْ هَذَا المَوْرُوثُ النّاجِمُ عَنْ تَسْخِيرِ التِّكْنُولُوجِيَا الحَدِيثَة فِي خِدْمَةِ إِيدْيُولُوجِيَّاتِ الكَرَاهِيَّةِ بِٱلْعِبْءِ الوَحِيدِ ٱلَّذِي نَحْمِلُهُ وَلَا الوَحِيدِ الَّذِي عَلَيْنَا مُوَاجَهَتُهُ. وَهُنَاكَ مَوْرُوثٌ آخَرُ أَقَلُّ وُضُوحًا، وَلَكِنَّهُ الأَكْثَرُ ٱنْتِشارًا، إِنَّهُ مَوْرُوثُ المُعَانَاةِ الفَرْدِيَّةِ ٱلَّتِي تَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. إِنَّهَا آلَامُ الأَطْفالِ الَّذِينَ يُنْتَهَكُونَ مِنْ قِبَلِ مِنْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ حِمايَتُهُمْ، وَالنِّسْوَةُ اللَّاتِي يُؤْذَيْنَ وَيُمْتَهَنَّ بِعُنْفِ أَزْوَاجِهِنَّ. وَالشُّيُوخُ الَّذِينَ يُنْتَهَكُونَ أَوْ يُعَقُّونَ مِنْ قِبَلِ أَوْلَادِهِمْ، وَالفِتْيَانُ ٱلَّذِينَ يُسْتَقْوَى عَلَيْهِمْ فَيُذِلُّهُمْ فِتْيانٌ أَمْثَالُهُمْ وَيَسُومُونَهُمْ سُوءَ الأَذَى والْمُضَايَقَةِ، وَٱلَّذِينَ يُوقِعُونَ عُنْفَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ جَمِيعِ الأَعْمَارِ.

إِنَّ هَذِهِ المُعَانَاةَ مَوْرُوثٌ يُجَدِّدُ نَفْسَهُ، حَيْثُ تَتَعَلَّمُ الأَجْيَالُ اللّاحِقَةُ مِنْ عُنْفِ الأَجْيَالِ السَّابِقَةِ، وَحَيْثُ تَتَعَلَّمُ الضَّحَايَا مِنَ الجُنَاةِ، وَحَيْثُ تَحْتَضِنُ الظُّرُوفُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ العُنْفَ وَتَسْمَحُ بِاسْتِمْرَارِهِ. وَلَا تُوجَدُ دَوْلَةٌ وَلَا مَدِينَةٌ وَلَا جَمَاعَةٌ مَنِيعَةٌ عَلَى العُنْفِ أَوْ بِمَنْأًى عَنْهُ. وَلَكِنَّنَا جَمِيعًا لَا نَعْدَمُ الحِيلَةَ لِمَنْعِهِ وَإِيقَافِهِ.

يَنْمُو العُنْفُ وَيَتَرَعْرَعُ فِي غِيَابِ الدِّيمُوقْرَاطِيَّةِ واحْتِرَامِ حُقُوقِ الإِنْسانِ وانْعِدَامِ الحُكومَاتِ الجَيِّدَةِ. وَإِنَّنَا كَثِيرًا مَا نُنَاقِشُ كَيْفَ يُمْكِنُ «لِثَقَافَةِ العُنْفِ» وَبيئَتِهِ أَنْ تُنْشِئَ جُذُورَهُ وَتُنَمِّيَهَا. وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ صَرِيحَةٌ – حَيْثُ عَاشَ سُكَّانُ جَنُوبِ أَفْرِيقْيَا ضِمْنَ سِيَاسَةِ التَّمْيِيزِ العُنْصُرِيِّ وَمِنْ خِلالِ آثارِهِ الكَارِثِيَّةِ – وَلَقَدْ شَاهَدْتُ هَذِهِ الحَقِيقَةَ وَعِشْتُ تَجْرِبَتَهَا. إِنَّهَا حَقِيقَةٌ لِأَنَّ نَمَاذِجَ العُنْفِ أَكْثَرُ تَرَسُّخًا وَانْتِشَارًا فِي الْمُجْتَمَعَاتِ ٱلَّتِي تُعطِي السُّلُطَاتُ فِيهَا لِلْعُنْفِ صِفَةَ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ خِلالِ مُمَارَسَاتِهَا وَأَفْعالِها الخاصَّةِ.

وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ يَسُودُ العُنْفُ إِلَى دَرَجَةٍ تَخْبُو الْآمَالُ مَعَهَا فِي تَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ والِاجْتِمَاعيَّةِ. وَلَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَقِفَ مَكْتُوفِي الأَيْدِي وَنَدَعَ ذَلِكَ يَسْتَمِرُّ. إِنَّ الكَثِيرِينَ مِمَّنْ يَعِيشُونَ مَعَ العُنْفِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ يَفْتَرِضُونَ بِأَنَّهُ يُمَثِّلُ جُزْءًا مُهِمًّا لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الحَالَةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَظُرُوفِهَا، وَلَكِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِك. فَالْعُنْفُ يُمْكِنُ أَنْ يُمْنَعَ أَوْ يُتَّقَى، كَمَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُ الثَّقَافَاتِ الَّتِي تَدْعَمُ العُنْفَ وَبِيئَتَهُ، فَفِي بَلَدِي وَكَثِيرٍ مِنَ البُلْدَانِ فِي أَنْحَاءِ العَالَمِ أَبْرَزْنَا أَمْثِلَةً كَثِيرَةً حَوْلَ كَيْفِيَّةِ إِمْكَانِ السَّيْطَرَةِ عَلَى العُنْفِ، وَيُمْكِنُ لِلْحُكُومَاتِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأَفْرَادِ أَنْ يُحَقِّقُوا الكَثِيرَ مِنَ الإِنْجَازَاتِ.

نلسون مانديلا

ضمن: إيتين ج كروغ ورفاقه (تحرير)، 2002
التقرير العالمي حول العنف والصحة
منظمة الصحة العالمية (الطبعة العربية: مصر)

اَلْعُنْفُ يُدَمِّرُ الْمُجْتَمَعَاتِ

هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ مَلَايِينَ ٱلْأَشْخَاصِ يُجْبَرُونَ عَلَى مُغَادَرَةِ دِيَارِهِمْ بِسَبَبِ ٱلصِّرَاعِ (أَكْثَرَ مِنْ 65 مَلْيُون شَخْصٍ فِي عَامِ 2015). وَأَنَّ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ ٱلسُّكَّانِ لَا يَزَالُونَ إِلَى ٱلْيَوْمِ يُغَادِرُونَ دِيَارَهُمْ بِسَبَبِ ٱلصِّرَاعَاتِ ٱلْمُسْتَمِرَّةِ. وَيَنْحَدِرُ ٱلْعَدِيدُ مِنْهُمْ مِنْ أُسَرٍ رِيفِيَّةٍ، يَشْتَغِلُونَ بِالزِّرَاعَةِ، أَوْ تَرْبِيَةِ ٱلْمَاشِيَةِ، وَالرَّعْيِ، أَوْ بِصَيْدِ ٱلْأَسْمَاكِ. وَكَثِيرًا مَا يَتَعَرَّضُونَ بِالْفِعْلِ إِلَى خَطَرِ ٱلْجُوعِ أَوِ ٱلْوُقُوعِ فِي ٱلْفَقْرِ. وَهُمْ يَفِرُّونَ مِنْ دِيَارِهِمْ خَوْفًا عَلَى حَيَاتِهِمْ. وَلَا يَرَوْنَ أَيَّ نِهَايَةٍ لِلصِّرَاعَاتِ ٱلَّتِي تَحْدُثُ فِي بُلْدَانِهِمْ، وَهُمْ قَدْ يَفْقِدُونَ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا يَمْلِكُونَهُ مِنْ مَتَاعٍ قَلِيلٍ. وَيُطْلَقُ عَلَى ٱلْأَشْخَاصِ ٱلَّذِينَ يَنْتَقِلُونَ إِلَى جُزْءٍ آخَرَ مِنْ بِلَادِهِمْ اسْمَ ٱلْأَشْخَاصِ ٱلنَّازِحِينَ دَاخِلِيًّا، بَيْنَمَا يُطْلَقُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُغَادِرُونَ بَلَدَهُمْ لَاجِئِينَ. وَيَعِيشُ مُعْظَمُ ٱلْأَشْخَاصِ ٱلنَّازِحِينَ دَاخِلِيًّا وَاللَّاجِئِينَ فِي ٱلْبُلْدَانِ ٱلنَّامِيَةِ.

إِنَّ ٱلْجُوعَ، وَتَنَقُّلَاتِ ٱلْمَاشِيَةِ، وَتَقَاسُمَ ٱلْمَوَارِدِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ ٱلْمَحْدُودَةِ، خَاصَّةً ٱلْمِيَاهَ وَالْأَرَاضِي، وَآثَارَ تَغَيُّرِ ٱلْمُنَاخِ يُمْكِنُ أَنْ تُؤَدِّيَ جَمِيعُهَا إِلَى نِزَاعَاتٍ بَيْنَ ٱلْمُزَارِعِينَ ٱلْمَحَلِّيِّينَ، أَوْ بَيْنَ ٱلسُّكَّانِ ٱلْمَحَلِّيِّينَ وَالنَّازِحِينَ فِي عَدِيدٍ مِنَ ٱلدُّوَلِ ٱلنَّامِيَةِ. وَمِنَ ٱلْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَيْضًا أَنَّهُ مَا كُلُّ شَخْصٍ يُمْكِنُهُ، أَوْ يُرِيدُ، ٱلْفِرَارَ.

وَهَلْ تَعْلَمُ أَنَّهُ فِي مُعْظَمِ ٱلصِّرَاعَاتِ، يَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ 80 فِي ٱلْمِائَةِ مِنَ ٱلسُّكَّانِ ٱلرِّيفِيِّينَ فِي دِيَارِهِمْ وَلَا يُغَادِرُونَهَا رَغْمَ ٱلْأَخْطَارِ ٱلْمُحْدِقَةِ بِهِمْ؟ فَالْمُزَارِعُونَ لَا يُرِيدُونَ ٱلتَّخَلِّيَ عَنْ أَرَاضِيهِمْ أَوْ حَيَوَانَاتِهِمْ. وَحَتَّى لَوْ كَانَ مِنَ ٱلصَّعْبِ جِدًّا ٱلْوُصُولُ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ ٱلسُّكَّانَ ٱلَّذِينَ يَبْقَوْنَ فِي دِيَارِهِمْ يَحْتَاجُونَ أَيْضًا إِلَى مُسَاعَدَةٍ لِلْبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ ٱلْحَيَاةِ.

منظمة الأغذية والزراعة، 2018، فلنغير مستقبل الهجرة، كتاب الأنشطة، ص 10 بتصرّف

لا لِلْعُنف ضِدّ الْمَرْأَةِ

اَلْمَرْأَة: تَشْمَلُ سَائِرَ الْإِنَاثِ بِمُخْتَلَفِ أَعْمَارِهِنَّ.
الطِّفْل: كُلُّ شَخْص ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى عَلَى مَعْنَى مَجَلَّةِ حِمَايَةِ الطِّفْلِ.
اَلْعُنْفُ ضِدَّ الْمَرْأَةِ: كُلُّ اعْتِدَاءٍ مَادِّيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ أَوْ جِنْسِيٍّ أَوْ اقْتِصَادِيٍّ ضِدَّ الْمَرْأَةِ أَسَاسُهُ التَّمْييزُ بِسَبَبِ الْجِنْسِ وَالَّذِي يَتَسَبَّبُ فِي إِيذَاءٍ أَوْ أَلَمٍ أَوْ ضَرَرٍ جَسَدِيٍّ أَوْ نَفْسِيٍّ أَوْ جِنْسِيٍّ أَوْ اقْتِصَادِيٍّ لِلْمَرْأَةِ وَيَشْمَلُ أَيْضًا التَّهْدِيدَ بِهَذَا الْاِعْتِدَاءِ أَوْ الضَّغْطِ أَوْ الْحِرْمَانِ مِنَ الْحُقُوقِ وَالْحُرِّيَاتِ، سَوَاءٌ فِي الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ أَمْ الْخَاصَّةِ.
اَلْعُنْفُ الْمَادِّيُّ: كُلُّ فِعْلٍ ضَارٍّ أَوْ مُسِيءٍ يَمَسُّ بِالْحُرْمَةِ أَوْ السَّلَامَةِ الْجَسَدِيَّةِ لِلْمَرْأَةِ أَوْ بِحَيَاتِهَا كَالضَّرْبِ وَالرَّكلِ وَالْجَرْحِ وَالدَّفْعِ وَالتَّشْوِيهِ وَالْحَرْقِ وَبَتْرِ أَجْزَاءَ مِنَ الْجِسْمِ وَالْاِحْتِجَازِ وَالتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ.

قانون أساسي عدد 58 لسنة 2017 مؤرخ في 11 أوت 2017
يتعلق بالقضاء على العنف ضد المرأة

بِحَسَبِ تَحْلِيلٍ حَدِيثٍ أَجْرَتْهُ مُنَظَّمَةُ الصِّحَّةِ الْعَالَمِيَّةُ تَعَرَّضَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ كُلِّ ثَلَاثِ نِسَاءٍ فِي الْعَالَمِ، أَيْ نَحْوَ 736 مَلْيُونَ امْرَأَةٍ، لِلْعُنْفِ خِلَالَ حَيَاتِهِنَّ.

ميغا موهان محررة شؤون الهوية والجندر
9 مارس 2021

مُبَادَرَةُ تَسْلِيطِ الضَّوْءِ

أَطْلَقَتِ الْأُمَمُ الْمُتَّحِدَةُ خِلَالَ سَنَةِ2017 مُبَادَرَةَ تَسْلِيطِ الضَّوْءِ الَّتِي تُرَكِّزُ عَلَى الْقَضَاءِ عَلَى جَمِيعِ أَشْكَالِ الْعُنْفِ ضِدَّ النِّسَاءِ وَالْفَتَيَاتِ، وَالَّتِي تَهْدِفُ إِلَى رَفْعِ الْوَعْيِ حَوْلَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِمَا يَتَمَاشَى مَعَ خُطَّةِ التَّنْمِيَةِ الْمُسْتَدَامَةِ لِعَامِ 2030.

اُتْرُكُوا الْأَشْجَارَ

جَاءَ يَوْمٌ كَرِهْتُ فِيهِ ٱلْبَلْدَةَ فَرَأَيْتُهَا مِثْلَ قَفَصٍ كَبِيرٍ، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ تَغَيَّرَتْ كَثِيرًا وبَعْدَ أَن بَدَأَ الْفَلاَّحُونَ يَقْطَعُونَ أَشْجَارَ اللَّوْزِ والْمِشْمِشِ والْجَوْزِ ويَزْرَعُونَ الْقُطْنَ مَكَانَهَا. أَخَذَتْ الزِّرَاعَةُ تَتَحَوّلُ فِي بَلَدِنَا، وتَحَوّلَتْ مَعَهَا الْحَيَاةُ. فَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ الطِّيبَةُ مِثْلَ بُسْتَانٍ كَبِيرٍ، فِيهِ كُلُّ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الْفَوَاكِهِ وَالْخُضَارِ، تَحَوّلَتْ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى أَرْضٍ قَاحِلَةٍ جَرْدَاءَ. وَلاَ تَغْضَبْ إِذَا قُلْتُ لَكَ إِنَّ الْفَلاّحِينَ أَغْبِيَاءُ. إِنّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ سِوَى أَن يُقَلِّدُوا. فَبَعْدَ أَن زُرِعَتْ الأَقْسَامُ الْغَرْبِيَّةُ مِنَ الْبَلْدَةِ بِالْقُطْنِ، وَأَعْطَتْ مَحَاصِيلَ وَفِيرَةً، تَغَيَّرَتْ حَيَاةُ النَّاسِ: قَصُّوا أَشْجَارَ الطِّيبَةِ كُلَّهَا. حَفَرُوا الآبَارَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وتَحَوَّلَتِ الْبَلْدَةُ إِلى مَرْجٍ أَبْيَضَ، عَلى مَدَى الْبَصَرِ خِلَالَ مَوَاسِمِ الْقِطَافِ. ولَم يَكُنْ يُرَى فِي الطِّيبَةِ سِوَى الْقُطْنِ وَأَشْجَارِ بُسْتَانِي. لَم أُرِدْ أَنْ أَقْطَعَ الْأَشْجَارَ، فَأَنَا الَّذِي غَرَسْتُهَا مَعَ أَبِي، وَمَازِلْتُ أَتَذَكَّرُ كُلَّ شَيْءٍ. كَانَ أَبِي يَقُولُ وَنَحْنُ نَغْرِسُ الأَشْجَارَ: يَا إِلْيَاسُ هَذِهِ الأَشْجَارُ مِثْلِ الْأَوْلَادِ، أَغْلَى مِنَ الْأَوْلَادِ، وَلاَ أَظُنُّ أَنَّ فِي الدُّنْيَا إِنْسَانًا يَقْتُلُ أَوْلَادَهُ، فَاحْرِصْ عَلَيْهَا. إِذَا مِتُّ أَنَا أَتْرُكُهَا أَمَانَةً فِي رَقَبَتِكَ، فَإِذَا قَطَعْتَ شَجَرَةً قَبْلَ أَوَانِهَا فَإِنَّ جَسَدِي فِي الْقَبْرِ سَوْفَ يَنْتَفِضُ. لَقَدْ سَاعَدْتُ أَبِي كَثِيرًا وَنَحْنُ نَغْرِسُ الْأَشْجَارَ. وكُنْتُ أَرَاهَا تَنْمُو يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. وخِلَالَ حَيَاةِ أَبِي أَثْمَرَتْ، وأَصْبَحَتْ تَزْهُو عَلَى كُلِّ أَشْجَارِ الْبَلْدَةِ. مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ نَمَتْ بَيْنَنَا صِلَةٌ غَامِضَةٌ، ولَمَّا قَطَعَ جِيرَانُنَا أَشْجَارَهُمْ حَزِنْتُ لِذَلِكَ كَثِيرًا. شَتَمْتُهُمْ فِي سِرِّي أَوَّلَ الْأَمْرِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّكُمْ تَقْطَعُونَ أَرْزَاقَكُمْ وَأَنْتُمْ تَقْطَعُونَ الْأَشْجَارَ. إِنَّكُمْ تَعْتَدُونَ عَلَى الْحَيَاةِ، وَلاَبُدَّ أَنَّ اللهَ سَيَنْتَقِمُ مِنْكُمْ. غَضِبُوا مِنِّي وَتَآمَرُوا عَلَيَّ، وَكَانُوا يُفَاخِرُونَ بِالْمَالِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

ذَاتَ يَوْمٍ، قَبْلَ بِذَارِ الْقُطْنِ بِشَهْرٍ كَانَتْ أَشْجَارُ الْبُسْتَانِ قَدْ أَزْهَرَتْ وَأَخَذَتْ تَخْضَرُّ. جَاءَ الرِّجَالُ إِلَيَّ وَقَالُوا إِنَّ مَوَاسِمَ الْقُطْنِ يَا إِلْيَاسُ جَعَلَتْ مِنَّا أَغْنِيَاءَ. وَأَنْتَ الْوَحِيدُ فِي الْبَلْدَةِ يَمْلِكُ أَرْضًا لاَ تُعْطِيهِ مَالًا... أَنْتَ لاَ تَزَالُ فَقِيرًا يَا إِلْيَاسُ. وَقَالُوا إِنَّ أَشْجَارَ بُسْتَانِكَ أَصْبَحَتْ لَنَا عَدُوًّا. كَانَتْ أَشْجَارُ الْبُسْتَانِ تَزْهُو ذَلِكَ الْوَقْتِ وَتَصْرُخُ بِنِدَاءَاتٍ حَنُونَةٍ تُبَشِّرُ بِمَوْسِمِ الْخَيْرِ، وَلَمْ أَكُنْ أَرَى الدُّنْيَا أَجْمَلَ مِنْهَا. قُلْتُ لَهُمْ: اُتْرُكُوا الْأَشْجَارَ أَيُّهَا الرِّجَالُ.

عبد الرّحمان منيف، 1992، الأشجار واغتيال مرزوق، ص 53-55، دار الآداب بيروت، ط7، بتصرف

الْعُنْفُ وَحُرُوبُ الإِبَادَةِ

هُنَاكَ فِي مِنْطَقَةِ الْبُحَيْرَاتِ الْعُظْمَى وَسَطَ أَفْرِيقِيَا فِي دَوْلَةٍ صَغِيرَةٍ أَنْهَكَتْهَا الْحَرْبُ وَالْمَذَابِحُ تُسَمَّى رُوَانْدَا، تَقُودُكَ الْبَوْصَلَةُ إِلَى قِصَّةِ نَجَاحٍ وَنَمُوذَجِ مُعْجِزَةٍ اقْتِصَادِيَّةٍ تَصِلُ بِكَ إِلَى مَرْحَلَةِ الِانْبِهَارِ وَتَتُوقُ النَّفْسُ إِلَى مُحَاكَاتِهَا وَالْحَدِيثِ عَنْهَا.

رُوَانْدَا الَّتِي غَرِقَتْ لِسَنَوَاتٍ فِي مُسْتَنْقَعِ الْحَرْبِ الَّتِي أَتَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَمْ تَلْبَثْ أَنْ نَفَضَتْ غُبَارَهَا وَنَهَضَتْ مِنْ تَحْتِ رُكَامِهَا، وَاسْتَلْهَمَتْ طَرِيقَ الْكِبَارِ لِتُحَقِّقَ الْإِنْجَازَ فِي غُضُونِ سَنَوَاتٍ.

قَبْلَ أَيَّامٍ تَوَّجَتْ الْبِلَادُ نَجَاحَهَا بِإِطْلَاقِ أَوَّلِ قَمَرٍ اصْطِنَاعِيٍّ فِي إِطَارِ مَشْرُوعٍ مُتَكَامِلٍ لِرَبْطِ الْمَدَارِسِ وَالْمَنَاطِقِ الْحَضَرِيَّةِ بِالْأَنْتَرْنَاتِ الْمَجَانِي، وَالِانْتِقَالِ لِشَبَكَاتِ الْكَوَابِلِ الضَّوْئِيَّةِ بِتَكْلُفَةٍ تَجَاوَزَتْ مِلْيَارَيْ دُولَارٍ.

محمود العدم، رواندا من رماد الحرب إلى عالم الفضاء،
الجريدة، 2019/06/06

إِرَادَةُ السَّلَامِ

فِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، نَزَلْتُ إِلَى الْحَدِيقَةِ وَنَادَيْتُ جَمِيلًا، وَأُخْتِي هَالَةَ وَزَوْجَهَا لِنَرْتَشِفَ قَهْوَةَ الصَّبَاحِ. شَرِدْتُ أَتَذَكَّرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْمَشْؤُومَ الَّذِي ابْتَدَأَ بِقَصْفٍ عَشْوَائِيٍّ مَجْنُونٍ، تَرَكَ مِئَاتِ السَّيَّارَاتِ مَحْرُوقَةً تَغُصُّ بِمَنْ فِيهَا، وَكَأَنَّهَا قِطَعٌ مِنَ الْفَحْمِ. وَالْمِذْيَاعُ يَقُولُ: «بَدَأَتْ الْحَرْبُ.» وَقَدْ حَصَدَ الْقَصْفُ مِئَاتِ الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى...

قَضَّيْتُ أُسْبُوعًا مَعَ عَائِلَتِي عَانَيْنَا آلَامَ الْقَصْفِ الْهَمَجِيِّ وَالْجُوعَ وَرَائِحَةَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لَمْ نَتْرُكْ الْمَلْجَأَ لَحْظَةً بَعْدَ أَنْ اقْتَحَمَتْ قَذِيفَةٌ صَارُوخِيَّةٌ بَيْتَنَا حَوَّلَتْ أَثَاثَهُ أَشْلَاءً. بَعْدَهَا لَمْلَمْتُ أَشْيَائِي وَقَرَّرْنَا الرَّحِيلَ عَنْ بَيْرُوت قَاصِدِينَ مَنْزِلَ أُخْتِي هَالَة بَعِيدًا عَنْ مَجَالِ الْقَصْفِ.

سَأَلَتْنِي هَالَةُ: هَلْ لَدَيْكِ أَخْبَارٌ عَنْ أَخِينَا؟

هُوَ كَمَا تَعْلَمِينَ يُفَضِّلُ الصُّمُودَ فِي بَيْتِهِ عَلَى الْمُغَادَرَة.

يَقُولُ الْمِذْيَاعُ: «يُهَاجِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْآلَافِ غَيْرَ عَابِئِينَ بِالْقَصْفِ وَدِمَاؤُهُم تَنْزِفُ».

وَتُطِلُّ سَيَّارَةٌ أَهْلَكَ الْقَصْفُ هَيْكَلَهَا. يَخْرُجُ مِنْهَا «سَلَّامٌ» عَيْنَاهُ حَمْرَاوَانِ وَوَجْهُهُ مُصْفَرٌّ. فَتَقُولُ لَهُ هَالَةُ: «يَا أَخِي، وَهَلْ كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ بَقَاؤُكَ فِي مَدِينَةٍ أَكَلَتْ جِرْذَانُهَا أَبْنَاءَهَا؟»

- إِنَّهُ الصُّمُودُ يَا أُخْتَاهُ. لَكِنْ لَا أَنَا وَلَا غَيْرِي قَادِرٌ عَلَى الْبَقَاءِ هُنَاكَ.

كُنْتُ أَعْتَصِرُ جَبِينِي بِيَدِي بِسَبَبِ الدُّوَارِ الدَّائِمِ الَّذِي يُصِيبُنِي. وَقَدْ نَصَحَنِي الطَّبِيبُ بِالْاِبْتِعَادِ عَنِ الْأَحْزَانِ وَبِالرَّاحَةِ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ ضَغْطِي الْمُرْتَفِعِ. غَيْرَ أَنَّ مَنْزِلَ هَالَةَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى فُنْدُقٍ. وَالْوُفُودُ تَؤُمُّهُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ...

لَمْ يُطِقْ أَخِي سَلَّامٌ الْمُكُوثَ مَعَنَا فَقَرَّرَ الْعَوْدَةَ إِلَى بَيْرُوت تَحْتَ وَابِلٍ مِنَ الرَّصَاصِ فَتَرَكَ فِي قُلُوبِنَا أَسًى وَقَلَقًا شَدِيدَيْنِ.

كَانَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ يَنْزَحُونَ عَنْ بَيْرُوت بِالْآلَافِ أَغْلَبُهُمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ تَائِهِينَ حَائِرِينَ أَيْنَ يَبِيتُونَ. يَفْتَرِشُونَ الْأَرْضَ وَيَلْتَحِفُونَ السَّمَاءَ. وَلَا خُبْزَ يَلْتَهِمُونَهُ وَلَا مَاءَ يَشْرَبُونَهُ. فَإِلَى أَيْنَ الْمَصِيرُ؟

وَفِي أَحَدِ مَسَاءَاتِ الْخَرِيفِ جَاءَ خَبَرُ إِعْلَانِ الْهُدْنَةِ بَيْنَ الْمُتَحَارِبِينَ، فَارْتَسَمَ بَعْضُ الْأَمَانِ عَلَى الْوُجُوهِ لَكِنَّ أَحَدًا لَمْ يُفْرِطْ فِي التَّفَاؤُلِ...

وَعُدْتُ إِلَى بَيْرُوت... وَمَا إِنْ مَرَّ يَوْمَانِ حَتَّى عَادَتِ الْحَرْبُ. قُلْتُ فِي نَفْسِي: «لَا. لَنْ أَمُوتَ بِهَذِهِ السُّهُولَةِ فَلَدَيَّ الْكَثِيرُ مِمَّا سَأَقُولُهُ. وَانْطَلَقْتُ أَكْتُبُ. كَانَتْ الْأَوْرَاقُ لَا تَزَالُ بِيَدِي وَعُنْوَانٌ كَبِيرٌ اسْمُهُ: **«دِمَاؤُنَا تَنْتَظِرُ السَّلَام»**. عِنْدَمَا دَخَلَتْ زَوْجَةُ أَخِي «سَلَّامٍ» بَاكِيَةً وَهِيَ تُرَدِّدُ: **«اخْتَفَى سَلَّامٌ... مَاتَ سَلَّامٌ»** هَرَعْتُ نَحْوَهَا مَذْعُورَةً وَأَنَا أُرَدِّدُ: «لَنْ أُغَيِّرَ الْعُنْوَانَ! لَنْ أُغَيِّرَ الْعُنْوَانَ!».

زَيْنَبُ الْحُسَيْنِي، 2020، دماؤنا تنتظر السلام، مجلة "بلا أسوار" الإلكترونية، قسم "سرديات"

نَحْوَ ٱلْمِينَاءِ

كانَ المَساءُ قَدْ بَدَأَ يُخَيِّمُ عَلَى الْمَدينَةِ، لَيْسَ يَدْري كَمْ مِنَ السَّاعَاتِ أَمْضَى وَهُوَ يَرْكُضُ مِنْ شَارِعٍ إِلَى شَارِعٍ، أَمَّا الآنَ فَقَدْ بَاتَ وَاضِحًا أَنَّهُمْ يَدْفَعُونَهُ نَحْوَ الْمِينَاءِ، فَقَدْ كَانَتْ الأَزِقَّةُ الْمُتَفَرِّعَةُ عَنِ الشّارِعِ الرَّئيسيِّ مُغْلَقَةً تَمَامًا، وَكَانَ إِذْ يُحَاوِلُ الِانْدِفاعَ فِي أَحدِهَا لِيَتَدَبَّرَ أَمْرَ عَوْدَتِهِ إِلَى بَيْتِهِ، يَزْجُرُونَهُ بِعُنْفٍ أَحْيَانًا بِفُوَّهاتِ البَنَادِقِ وَأَحْيَانًا بِحِرابِها.

كَانَتْ السَّماءُ نَارًا تَتَدَفَّقُ بِأَصْواتِ رَصاصٍ وَقَنابِلَ وَقَصْفٍ بَعيدٍ وَقَريبٍ، وَكَأَنَّمَا هَذِهِ الأَصْواتُ نَفْسُها كَانَتْ تَدْفَعُهُمْ نَحْوَ الْمِينَاءِ وَرَغْمَ أَنَّهُ كَانَ غَيْرَ قادِرٍ عَلَى التَّرْكِيزِ عَلَى أَيِّما أَمْرٍ مُعَيَّنٍ، إِلَّا أَنَّهُ رَأَى كَيْفَ بَدَأَ الزِّحامُ يَتَكاثَفُ مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ. كَانَ النَّاسُ يَتَدَفَّقُونَ مِنَ الشَّوارِعِ الفَرْعِيَّةِ نَحْوَ ذَلِكَ الشّارِعِ الرَّئيسيِّ الْمُتَّجِهِ إِلَى الْمِينَاءِ، رِجالًا وَنِساءً وَأَطْفالًا، يَحْمِلُونَ أَشْياءَ صَغيرَةً أَوْ لَا يَحْمِلُونَ، يَبْكُونَ أَوْ يَسْبَحُونَ داخِلَ ذَلِكَ الذُّهولِ الصّارِخِ بِصَمْتٍ كَسيحٍ. وَضَاعَ بَيْنَ أَمْواجِ البَشَرِ المُتَدَفِّقَةِ وَفَقَدَ القُدْرَةَ عَلَى التَّحَكُّمِ بِخُطواتِهِ. إِنَّهُ مَا يَزَالُ يَذْكُرُ كَيْفَ أَنَّهُ كَانَ يَتَّجِهُ نَحْوَ البَحْرِ وَكَأَنَّهُ مَحْمولٌ وَسَطَ الزِّحامِ البَاكِي، مَذْهولًا، غَيْرَ قادِرٍ عَلَى التَّفْكيرِ فِي أَيِّ شَيْءٍ، وَفِي رَأْسِهِ كَانَ ثَمَّةَ صورَةٌ واحِدَةٌ مُعَلَّقَةٌ كَأَنَّمَا عَلَى جِدارٍ: زَوْجَتُهُ صَفيَّةُ وابْنُهُ خَلْدونٌ.

لَقَدْ مَضَتْ اللَّحَظاتُ بَطيئَةً وَقاسيَةً وَتَبْدُو الآنَ مُجَرَّدَ كَابُوسٍ ثَقيلٍ لَا يُصَدَّقُ. اجْتَازَ البَوّابَةَ الحَديديَّةَ لِلْمِينَاءِ حَيْثُ كَانَ جُنودٌ بِرِيطَانِيُّونَ يَزْجُرونَ النّاسَ، وَمِن هُنَا رَأَى أَكْوامَ البَشَرِ تَتَسَاقَطُ فَوْقَ الزَّوارِقِ الصَّغيرَةِ المُنْتَظَرَةِ فِي الْمَاءِ قُرْبَ الرَّصيفِ، وَدُونَ أَنْ يَعْرِفَ مَاذَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ، قَرَّرَ أَلَّا يَصِلَ إِلَى الزَّوارِقِ وَفَجْأَةً – كَمَنْ أُصِيبَ بِالْجُنُونِ، أَوْ كَمَنْ عَادَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ دُفْعَةً واحِدَةً بَعْدَ جُنونٍ طَويلٍ - اسْتَدارَ وَسَطَ الزِّحامِ، وَأَخَذَ يُدافِعُهُ مُحاوِلًا بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ مُسْتَنْزَفَةٍ أَنْ يَشُقَّ طَريقَهُ، عَكْسَهُ، نَحْوَ البَوّابَةِ الحَديديَّةِ.

غسان كنفاني، 2015، عائد إلى حيفا، قبرص:
منشورات الرمال، ص 14-15

شَرْحُ المُفْرَدات:

تَدَبَّرَ الأَمْرَ / **تَدَبَّرَ فِي** الأَمْرِ: تَأَمَّلَهُ وَفَكَّرَ فِيهِ عَلَى مَهَلٍ، وَنَظَرَ فِي عاقِبَتِهِ.

مَذْهول: اسم مفعول، مَدْهُوشٌ، مَأْخُوذٌ بِكُلِّ حَوَاسِّهِ.

الكَابُوسُ: وَالْجَمْعُ كَوَابِيسُ: ضَغطٌ يَقَعُ عَلَى صَدْرِ النَّائِمِ لَا يَقْدِرُ مَعَهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ. وَهُوَ الْجَاثُومُ.

اَلْإِنْسَانُ يُمَارِسُ الْعُنْفَ ضِدَّ مُحِيطِهِ

دَأَبَ الْإِنْسَانُ عَلَى تَدْمِيرِ بِيئَتِهِ الَّتِي تُعْتَبَرُ الْإِطَارَ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ وَيَحْتَاجُهُ لِلْحُصُولِ عَلَى مُقَوِّمَاتِ حَيَاتِهِ مِنْ مَاءٍ صَالِحٍ لِلشُّرْبِ وَطَعَامٍ وَأَمَاكِنَ مُلَائِمَةٍ لِلسَّكَنِ. اَلْإِنْسَانُ هُوَ أَسَاسُ التَّغْيِيرَاتِ الْبِيئِيَّةِ وَهُوَ الْمَسْؤُولُ عَنْ اسْتِغْلَالِ جَمِيعِ الْمَوَارِدِ الْبِيئِيَّةِ فِي الْأَرْضِ، وَالْإِنْسَانُ هُوَ صَانِعُ التَّنْمِيَةِ وَالْقُوَّةُ الْمُتَنَفِّذَةُ. إِنَّ احْتِيَاجَ الْإِنْسَانِ لِتَأْمِينِ حَيَاتِهِ وَضَمَانِ الْعَيْشِ الْآمِنِ أَدَّى إِلَى اسْتِنْزَافِ مَوَارِدِ الطَّبِيعَةِ وَالْإِخْلَالِ بِالْبِيئَةِ.

يَسَّرَ التَّقَدُّمُ التِّكْنُولُوجِيُّ لِلْإِنْسَانِ مَزِيدًا مِنْ فُرَصِ إِحْدَاثِ التَّغْيِيرِ فِي الْبِيئَةِ فِي ضَوْءِ ازْدِيَادِ حَاجَتِهِ لِلْغِذَاءِ وَالْمَاءِ وَتَحْقِيقِ الرَّفَاهِيَّةِ مِمَّا جَعَلَهُ يَبْحَثُ عَنْ وَسَائِلَ تُوَفِّرُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى شَنَّ عَمَلِيَّاتِهِ الْوَاسِعَةَ بِإِزَالَةِ أَشْجَارِ الْغَابَاتِ وَحَوَّلَ أَرْضَهَا إِلَى مُجَمَّعَاتٍ سُكَّانِيَّةٍ وَمَعَامِلَ صِنَاعِيَّةٍ وَمُنْشَآتٍ تِجَارِيَّةٍ، كَمَا أَفْرَطَ فِي اسْتِخْدَامِ الْمُبِيدَاتِ الْحَشَرِيَّةِ وَالْأَسْمِدَةِ الْكِيمِيَاوِيَّةِ فِي الْأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّةِ وَأَخِيرًا الرَّعْيِ الْمُكَثَّفِ مِمَّا أَدَّى إِلَى إِخْلَالِ تَوَازُنِ النِّظَامِ الْبِيئِيِّ.

يَتَعَذَّرُ عَلَى أَيِّ مُنْشَأَةٍ صِنَاعِيَّةٍ أَنْ تُوَفِّرَ لِلْإِنْسَانِ مَا تُوَفِّرُهُ الْغَابَاتُ مِنَ التَّرْوِيحِ وَالتَّنَزُّهِ وَالْهَوَاءِ النَّقِيِّ، وَلَا تَقْتَصِرُ فَائِدَةُ الْأَشْجَارِ أَيْضًا عَلَى تَوْفِيرِ الْأُوكْسِجِينِ لِلْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَامْتِصَاصِ غَازِ ثَانِي أُوكْسِيدِ الْكَرْبُونِ فَلَهَا خَصَائِصُ عَدِيدَةٌ مِنْهَا الْمُسَاهَمَةُ فِي تَقْلِيلِ وُقُوعِ الْفَيَضَانَاتِ إِذْ تَمْتَصُّ أَوْرَاقُ الْأَشْجَارِ مِيَاهَ الْأَمْطَارِ وَبِالتَّالِي تُقَلِّلُ مِنْ وُصُولِ الْمِيَاهِ إِلَى الْمُدُنِ وَحُصُولِ الْفَيَضَانَاتِ. وَتُعْتَبَرُ الْأَشْجَارُ مِصَدًّا لِلرِّيَاحِ لِحِمَايَةِ الْمَحَاصِيلِ الزِّرَاعِيَّةِ وَلَهَا أَهَمِّيَّةٌ بَارِزَةٌ كَحِزَامٍ أَخْضَرَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ لِحِمَايَتِهَا مِنَ الزَّحْفِ الصَّحْرَاوِيِّ وَتَثْبِيتِ الْكُثْبَانِ الرَّمْلِيَّةِ وَوَقْفِ زَحْفِهَا نَحْوَ الْأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّةِ.

أَدَّى اسْتِغْلَالُ الْإِنْسَانِ لِلْغَابَاتِ وَالْقَطْعُ الْجَائِرُ لِلْأَشْجَارِ وَالتَّوَسُّعُ الْعِمْرَانِيُّ عَلَى حِسَابِ إِزَالَةِ الْغَابَاتِ إِلَى الْإِخْلَالِ بِالنِّظَامِ الْبِيئِيِّ مِمَّا أَوْجَدَ الْعَدِيدَ مِنَ الْمَشَاكِلِ الَّتِي سَبَّبَتْ هِجْرَةَ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْقَضَاءَ عَلَى الْحَشَرَاتِ الَّتِي لَهَا أَهَمِّيَّةٌ لِلتُّرْبَةِ وَلِأَشْجَارِ الْغَابَاتِ أَيْضًا، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ الْكَوَارِثَ الْبِيئِيَّةَ كَالتَّصَحُّرِ وَالْأَعَاصِيرِ وَالْفَيَضَانَاتِ وَالزَّلَازِلِ نَتِيجَةَ إِزَالَةِ الْغَابَاتِ.

وَلَا يَقْتَصِرُ فِعْلُ الْإِنْسَانِ الْمُدَمِّرُ عَلَى إِزَالَةِ الْغَابَاتِ لِتَدْمِيرِ الْبِيئَةِ، فَقَدْ حَفَّزَتْ التِّكْنُولُوجِيَا بِنَاءَ الْمَصَانِعِ وَاسْتِخْدَامَ الْوَقُودِ فِي الصِّنَاعَةِ وَالنَّقْلِ وَالْكَهْرَبَاءِ وَلِلطَّائِرَاتِ وَفِي الْحُرُوبِ وَأَدَّتْ لِانْبِعَاثَاتِ غَازَاتٍ ضَارَّةٍ إِلَى الْجَوِّ وَبِالتَّالِي لَوَّثَتْ الْهَوَاءَ. أَمَّا مَصَادِرُ تَلَوُّثِ الْمِيَاهِ فَقَدْ تَسَبَّبَ بِهَا الْإِنْسَانُ بِفِعْلِ نَشَاطِهِ غَيْرِ الْمُبَرَّرِ الَّذِي تَمَثَّلَ بِإِلْقَاءِ مُخَلَّفَاتِ الْمَصَانِعِ وَمِيَاهِ الصَّرْفِ الْمَنْزِلِيَّةِ وَمِيَاهِ الصَّرْفِ الزِّرَاعِيِّ الْمُحَمَّلَةِ بِالْمَوَادِّ الْكِيمِيَاوِيَّةِ إِلَى الْأَنْهُرِ وَالْبِحَارِ الَّتِي تَحْوِي السُّمُومَ مِنَ الْمَعَادِنِ الثَّقِيلَةِ، فَهَذَا يُؤَثِّرُ سَلْبًا فِي الْأَسْمَاكِ وَبَقِيَّةِ الْأَحْيَاءِ وَحَتَّى الطُّيُورِ، وَبِالنَّتِيجَةِ يَتَأَثَّرُ بِهَا الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ نَتِيجَةَ فِعْلِهَا الضَّارِّ. وَتَعَدَّى

ذَلِكَ إِلَى دَفْنِ النُّفَايَاتِ وَطَمْرِهَا فِي أَمَاكِنَ غَيْرِ مُؤَهَّلَةٍ. وَامْتَدَّ فِعْلُ الْإِنْسَانِ الْمُؤَثِّرِ عَلَى الْبِيئَةِ حَتَّى خِلَالَ عَمَلِيَّاتِ تَفْرِيغِ الْبِتْرُولِ مِنْ قِبَلِ الْبَاخِرَاتِ وَالسُّفُنِ فِي الْبِحَارِ وَمَا يَنْجُمُ عَنْهُ مِنْ ضَرَرٍ لِلْكَائِنَاتِ الْبَحْرِيَّةِ.

اَلْعَدِيدُ مِنَ الْكَوَارِثِ الْمَنَاخِيَّةِ شَهِدَتْهَا الْأَرْضُ خِلَالَ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ كَانَ لِآثَارِهَا فِعْلٌ مُدَمِّرٌ أَسْفَرَ عَنْ آلَافِ الْقَتْلَى وَالْمُصَابِينَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى تَدْمِيرِ الْبُنَى التَّحْتِيَّةِ. مِنْهَا كَارِثَة تُسُونَامِي 2004 وَإِعْصَار كَاتْرِينَا الَّذِي ضَرَبَ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ فِي 2005 وَإِعْصَار الْفِلِبِّين وَإِعْصَار جُونُو الَّذِي ضَرَبَ سَلْطَنَةَ عُمَانَ فِي 2007 وَفَيَضَانَات جَدَّةَ 2009 فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ. وَعِنْدَ التَّطَرُّقِ إِلَى جَمِيعِ تِلْكَ الْكَوَارِثِ نَجِدُ الْبَعْضَ مِنَّا يَنْسُبُهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ. وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ لَا غُبَارَ يَشُوبُهَا. لَكِنْ كَيْفَ حَصَلَتْ الْخَسَائِرُ الْهَائِلَةُ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْمُمْتَلَكَاتِ حَتَّى طَالَتْ دُوَلًا أَوْ مُدُنًا بِأَكْمَلِهَا.

اَلْجَوَابُ يَقُودُنَا لِلْعَوْدَةِ إِلَى فِعْلِ الْإِنْسَانِ الْمُدَمِّرِ وَنَشَاطِهِ غَيْرِ الْمَسْبُوقِ لِاسْتِثْمَارِ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ مَعَ الْإِخْلَالِ بِالتَّوَازُنِ الْبِيئِيِّ. إِذْ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ اعْتَدَى عَلَى الطَّبِيعَةِ وَغَيَّرَ مَنْظُومَتَهَا لِتَأْتِيَ أَفْعَالُهَا عَكْسِيَّةً. مِثَالُ ذَلِكَ حِينَمَا عَمَدَتْ يَدُ التَّطَوُّرِ الْبَشَرِيِّ إِلَى الشَّوَاطِئِ الْبَحْرِيَّةِ بِإِزَالَةِ الْغَابَاتِ مِنْ جِهَةٍ وَبِنَاءِ الْفَنَادِقِ السِّيَاحِيَّةِ وَالْمُنْتَجَعَاتِ وَالْمُجَمَّعَاتِ السُّكَّانِيَّةِ قُرْبَ تِلْكَ الشَّوَاطِئِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فِي تِلْكَ الْحَالَةِ قُمْنَا –كَبَشَرٍ- بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْغَابَاتِ الَّتِي تُعْتَبَرُ دِرْعًا لِلتَّصَدِّي لِلْفَيَضَانَاتِ وَالْأَعَاصِيرِ وَبِالْبِنَاءِ عَلَى أَرَاضٍ هَشَّةٍ لَا تَسْتَطِيعُ مُقَاوَمَةَ الْفِعْلِ الْمُدَمِّرِ لِلزَّلَازِلِ وَالْفَيَضَانَاتِ. وَبِمَا أَنَّ تِلْكَ الْمَنَاطِقَ الْهَشَّةَ تَضُمُّ كَثَافَةً سُكَّانِيَّةً هَائِلَةً فَإِنَّ الْخَسَائِرَ سَتَكُونُ كَبِيرَةً بَشَرِيًّا وَمَادِّيًّا.

وَنَتِيجَةَ الْغَازَاتِ الْمُنْبَعِثَةِ مِنَ الْمَصَانِعِ زَادَ ارْتِفَاعُ حَرَارَةِ الْأَرْضِ فَسَبَّبَ حَرَائِقَ الْغَابَاتِ وَحَوَّلَهَا مَصْدَرًا لِانْبِعَاثَاتِ ثَانِي أُوكْسِيدِ الْكَرْبُونِ. كَمَا أَنَّ ازْدِيَادَ النُّمُوِّ السُّكَّانِيِّ الْعَشْوَائِيِّ وَلَّدَ الْحَاجَةَ الْكَبِيرَةَ لِتَوْفِيرِ الْغِذَاءِ وَالسَّكَنِ وَهَذَا بِالتَّأْكِيدِ أَوْجَدَ الرَّغْبَةَ لَدَى الْإِنْسَانِ فِي التَّعَدِّي عَلَى الْأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّةِ وَاسْتِغْلَالِهَا بِشَكْلٍ قَاسٍ بِاسْتِخْدَامِ الْأَسْمِدَةِ الْكِيمِيَاوِيَّةِ وَالزِّرَاعَةِ الْمُكَثَّفَةِ فَأَصْبَحَتْ الْأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّةُ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِلزِّرَاعَةِ. مِمَّا سَبَّبَ تَدْمِيرَ الْوَسَطِ الْبِيئِيِّ لِلْعَدِيدِ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ وَإِجْبَارَهَا عَلَى هَجْرِ مَوْطِنِهَا. أَفْرَزَتْ نَشَاطَاتُ الْإِنْسَانِ الْخَطِرَةُ إِلَى اخْتِلَالِ التَّوَازُنِ الْبِيئِيِّ، وَذَلِكَ سَيُؤَثِّرُ بِالتَّأْكِيدِ فِي الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ.

عمر المنصوري، 2017، الإنسان يدمر الأرض إلى
غير رجعة، شبكة رودواي

شَيْءٌ غَرِيبٌ

عِنْدَمَا كُنْتُ صَبِيًّا، كَانَ يُوجَدُ مَرْجٌ أَمَامَ الْمَنْزِلِ الَّذِي أَقْضِي فِيهِ عُطْلَتِي الصَّيْفِيَّةَ. وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْجِ طَرِيقٌ تَكَادُ تَخْلُو دَوْمًا مِنَ الْمَارَّةِ. وَلَكِنْ، فِي عَشَايَا أَيَّامِ الْأَحَدِ، كُنْتُ أُشَاهِدُ رَغْمَ ذَلِكَ مَجْمُوعَاتِ الْفَلَّاحِينَ وَهُمْ عَائِدُونَ إِلَى ضَيْعَاتِهِمُ الْمُسْتَأْجَرَةِ، الْمَبْثُوثَةِ فِي غَابَةِ الصَّنَوْبَرِ. وَكُنْتُ أَسْتَغْرِبُ مِنْهُمْ أَمْرًا: كَانَ الرِّجَالُ يَتَقَدَّمُونَ مَطْلُوقِي السَّوَاعِدِ، وَأَيْدِيهُمُ الضَّخْمَةُ تَتَأَرْجَحُ فَارِغَةً، وَالنِّسَاءُ يَتْبَعْنَ مُثْقَلَاتٍ بِالْحِزَمِ وَالسِّلَالِ.

وَكُنَّا حِينَ نَزُورُ إِحْدَى الضَّيْعَاتِ، كَثِيرًا مَا يَتَّفِقُ لِي أَنْ أَسْمَعَ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ يَتَذَمَّرُونَ فَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَا يَتَوَصَّلُونَ إِلَى إِنْجَازِ الْعَمَلِ، فَكَانُوا يَنْتَظِرُونَ بِفَارِغِ الصَّبْرِ أَنْ تَبْلُغَ بِنْتُهُمْ سِنَّ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ وَثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ حَتَّى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَتَزَوَّجَ فَتُوَفِّرَ لَهُمْ عَامِلًا إِضَافِيًّا. فَتِلْكَ كَانَتِ الْغَايَةُ الْوَحِيدَةُ مِنْ وُجُودِ الْبَنَاتِ أَنْ يَجْلِبْنَ إِلَى الْبَيْتِ رَجُلًا قَادِرًا عَلَى الشُّغْلِ.

محمد اليعلاوي، 1988، مائة نص فرنسي مع الترجمة إلى العربية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص 68، ط 2

العُنْفُ
دَمارٌ لِلْحَيَاةِ

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

النّشاط 1 (عَمَلٌ فَرْدِيٌّ):

حَضَرْتُ تَظَاهُرَةً حَوْلَ الْعُنْفِ فِي مَدْرَسَتِي فَتَأَثَّرْتُ كَثِيرًا.

1. أَكْتُبُ فَقْرَةً أَرْوِي فِيهَا مَا جَرَى مُبْرِزًا أَثَرَ هَذَا الْحَدَثِ فِي نَفْسِي.
2. أَخْتَارُ صُورَةً شَدَّتْ انْتِبَاهِي فِي هَذَا الْحَدَثِ:

النّشاط 2 (عَمَلٌ مَجْمُوعِيٌّ):

اِنْطِلَاقًا مِنَ الإنتاج الْفَرْدِيِّ تَتَوَصَّلُ الْمَجْمُوعَةُ إِلَى بِنَاءِ فَقْرَةٍ تُوَثِّقُ لِهَذَا الْحَدَثِ.

النّشاط 3 (عَمَلٌ جَمَاعِيٌّ):

اَلْإِسْتِثْمَارُ الْجَمَاعِيُّ لِعَمَلِ الْمَجْمُوعَاتِ وَذَلِكَ بِعْدَ عَرْضِ عَمَلِهَا.

النّشاط 4 (عَمَلٌ جَمَاعِيٌّ):

أُعِدُّ صُحْبَةَ أَصْدِقَائِي بَرْنَامَجًا/ خُطَّةً لِلتَّدَخُّلِ عَمَلِيًّا فِي مُقَاوَمَةِ الْعُنْفِ:

- تَحْدِيدُ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ.
- تَحْدِيدُ الْفِئَةِ الْمُسْتَفِيدَةِ مِنْ هَذَا التَّدَخُّل (اَلْأَطْفَال، اَلْمَرْأَة....)
- تَحْدِيدُ عُنْوَانِ الْحَمْلَةِ.
- تَحْدِيدُ بَرْنَامَجِ الْحَمْلَةِ.
- تَحْدِيدُ أَشْكَالِ التَّدَخُّلِ (شِعَار، لَافِتَات، مُوسِيقَى...) وَمُحْتَوَيَاتِهِ.
- تَحْدِيدُ أَدْوَارِ كُلِّ فَرِيقٍ.

الرِّيَاضِيَّاتُ

النّشاط 1 (عَمَلٌ فَرْدِيٌّ):

1. أَبْحَثُ : أُوَثِّقُ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي صَادَفْتُهَا خِلَالَ الْيَوْمِ الْمَفْتُوحِ حَوْلَ الْعُنْفِ فِي الْوَسَطِ الْمَدْرَسِيِّ أَوْ فِي الْمَلَاعِبِ أَوْ حَوْلَ الْعُنْفِ الْأُسَرِيِّ وَالَّتِي يُمْكِنُنِي أَنْ أَسْتَثْمِرَهَا فِي دُرُوسِ الرِّيَاضِيَّاتِ.

2. أُصَنِّفُ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ فِي جَدْوَلٍ.

3. أُحَوِّلُهَا إِلَى نِسَبٍ مِائَوِيَّةٍ.

4. أُمَثِّلُهَا بِرَسْمٍ بَيَانِيٍّ.

النّشاط 2 (عَمَلٌ فَرْدِيٌّ):

أُنْجِزُ الْوَضْعِيَّاتِ الرِّيَاضِيَّةَ التَّالِيَةَ.

اَلسَّنَدُ:

إِحْصَائِيَّاتٌ وَمُؤَشِّرَاتٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِرَصْدِ حَالَاتِ الْعُنْفِ ضِدَّ الْمَرْأَةِ وَالطِّفْلِ.

تُؤَكِّدُ الْوِزَارَةُ أَنَّهُ وَفْقَ آخِرِ الْإِحْصَائِيَّاتِ، تَلَقَّى الْخَطُّ الْأَخْضَرُ 1899 خِلَالَ الْفَتْرَةِ الْمُمْتَدَّةِ بَيْنَ 25 ماي 2023 وَ 25جوان الْمَاضِي 986 مُكَالَمَةً.

وَعَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهُ يُمْكِنُ لِحَالَةِ عُنْفٍ وَاحِدَةٍ أَنْ تَشْمَلَ كُلَّ أَشْكَالِ الْعُنْفِ، تَتَوَزَّعُ الْمُكَالَمَاتُ الْوَارِدَةُ عَلَى الْخَطِّ الْأَخْضَرِ 1899 بَيْنَ 236 مُكَالَمَةً تَتَعَلَّقُ بِإِشْعَارَاتٍ حَوْلَ الْعُنْفِ ضِدَّ الْمَرْأَةِ و587 مُكَالَمَةً فِي الْإِرْشَادِ الْقَانُونِيِّ و125 مُكَالَمَةً إِدَارِيَّةً و38 مُكَالَمَةً تَهُمُّ تَوْضِيحَ مَهَامِّ الْخَطِّ.

فِي حِينِ تَتَوَزَّعُ إِشْعَارَاتُ الْعُنْفِ ضِدَّ الْمَرْأَةِ الْبَالِغ عَدَدُهَا 236 إِلَى 194 إِشْعَارًا بِعُنْفٍ لَفْظِيٍّ و 154 إِشْعَارًا بِعُنْفٍ نَفْسِيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ و161 مُكَالَمَةً بِعُنْفٍ جَسَدِيٍّ وَمَادِّيٍّ و 73 إِشْعَارًا بِعُنْفٍ عُنْفٍ اقْتِصَادِيٍّ، وَيُمَثِّلَ الْعُنْفُ الزَّوْجِيُّ أَكْبَرَ نِسْبَة وَتُقَدَّرُ بـ 70 / 100 مِنْ مَجْمُوعِ حَالَاتِ الْعُنْفِ ضِدَّ الْمَرْأَةِ. وَشَهِدَتْ خِلَالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ انْخِفَاضًا مُقَارَنَةً بِالْفَتْرَةِ السَّابِقَةِ الْمُمْتَدَّةِ مِنْ 25 أفريل إِلَى 25 ماي 2023 وَالَّتِي بَلَغَتْ 81 / 100.

وَوَرَدَتْ إِشْعَارَاتُ الْعُنْفِ ضِدَّ الْمَرْأَةِ مِنْ كُلِّ الْوِلَايَاتِ تَقْرِيبًا، وَبَلَغَ عَدَدُهَا 100 مُكَالَمَةٍ مِنْ تُونس الْكُبْرَى حَيْثُ سُجِّلَ أَكْبَرُ عَدَدٍ بِوِلَايَةِ بن عروس (38) ثُمَّ بِوِلَايَةِ تُونس (30) وَوِلَايَةِ أَرْيَانَة (22) وَوِلَايَةِ مَنُّوبَة (10) وَهِيَ مُتَقَارِبَةٌ فِي وِلَايَاتٍ أُخْرَى عَلَى غِرَارِ نَابل (18) وَبِنْزَرْت (14) وَسوسَة (14) وَصَفَاقس (12) وَالْقَيْرَوَان (11).

[وِزَارَةُ الْأُسْرَةِ وَالْمَرْأَةِ وَالطُّفُولَةِ وَكِبَارِ السِّنِّ ، 18 جويليّة 2023]

التمرين 1

أَرْسُم مُخَطَّطًا بَيَانِيًّا لِتَوْزِيعِ حَالَاتِ الْعُنْفِ عَلَى الْوِلَايَاتِ:

التمرين 2

أَرْسُم مُخَطَّطًا بَيَانِيًّا لِتَوْزِيعِ الْمُكَالَمَاتِ الْوَارِدَةِ عَلَى الْخَطِّ الْأَخْضَرِ 1899:

التمرين 3

أَرْسُم مُخَطَّطًا بَيَانِيًّا لِتَوْزِيعِ إِشْعَارَاتِ الْعُنْفِ.

التمرين 4

- أَكْتُبُ الْعَدَدَ الْكَسْرِيَّ لِعَدَدِ الْإِشْعَارَاتِ الَّتِي لَا تَدْخُل فِي الْعُنْفِ الزَّوْجِيِّ وَأَقْرَؤُهُ.
- أُحَوِّلُ النَّتِيجَةَ إِلَى مُخَطَّطٍ بَيَانِيٍّ.

التمرين 5

- أَكْتُب الْعَدَدَ الْكَسْرِيَّ الَّذِي يُمَثِّلُ الِانْخِفَاضَ الَّذِي عَرَفَتْهُ إِشْعَارَاتُ الْعُنْفِ الزَّوْجِيِّ وَأَقْرَؤُهُ.
- أُحَوِّلُ النَّتِيجَةَ إِلَى مُخَطَّطٍ بَيَانِيٍّ.

النّشاط 3 (عَمَلٌ جَمَاعِيٌّ بِمُرَافَقَةِ الْمُدَرِّسِ):

1. عَرْضُ الأَعْمَالِ.
2. مُنَاقَشَةُ الْحُلُولِ والنَّتَائِجِ.
3. الإِصلاحُ والتَعْدِيلُ

الإِيقَاظُ الْعِلْمِيُّ

النّشاط 1 (عَمَلٌ فَرْدِيٌّ):

1. أَبْحَثُ: خِلَالَ الْيَوْمِ الْمَفْتُوحِ جَمَعْتُ مَعْلُومَاتٍ حَوْلَ ظَاهِرَةِ الْعُنْفِ.
2. أَخْتَارُ مِنْهَا مَا لَهُ عَلَاقَةٌ بِدُرُوسِ الْإِيقَاظِ الْعِلْمِيّ.
3. أُصَنِّفُ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي جَمَعْتُهَا حَسَبَ الْمَطْلُوبِ: صِنْفَيْنِ: مَادِّيٍّ/ غَيْرِ مَادِّيٍّ.

النّشاط 2 (عَمَلٌ فِرَقِيٌّ/ مَجْمُوعِيٌّ):

1. أَبْحَثُ صُحْبَةَ أَصْدِقَائِي عَنْ:
   - أَنْوَاعِ الْإِعَاقَاتِ الْجَسَدِيَّةِ النَّاتِجَةِ عَنِ الْعُنْفِ الْمَادِّيِّ.
   - أَكْثَرِ الْأَعْضَاءِ عُرْضَةً لِخَطَرِ الْعُنْفِ الْمَادِّيِّ.
   - عَدَدِ الْإِصَابَاتِ الَّتِي تَطَلَّبَتْ تَدَخُّلًا طِبِّيًّا.
2. أُصَنِّفُ الْمُعْطَيَاتِ الْمُجَمَّعَةَ فِي جَدْوَلٍ.
3. أَبْحَثُ صُحْبَةَ أَصْدِقَائِي عَنْ أَسْبَابِ الْحَوَادِثِ الْمَدْرَسِيَّةِ دَاخِلَ الْمُؤَسَّسَةِ.
   - أُسَجِّلُ التَّدَخُّلَاتِ الَّتِي قَامَتْ بِهَا الْمُؤَسَّسَةُ لِلْحَدِّ مِنَ الْحَوَادِثِ الْمَدْرَسِيَّةِ.
   - أُسَجِّلُ التَّدَخُّلَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا التَّلَامِيذُ لِلْحَدِّ مِنْ هَذِهِ الْحَوَادِثِ.
   - نُبْدِي الرَّأْيَ فِي مَدَى تَحَمُّلِ كُلِّ طَرَفٍ مَسْؤُولِيَّتَهُ فِي هَذِهِ الْحَوَادِثِ.
   - نَقْتَرِحُ تَدَخُّلَاتٍ أُخْرَى نَاجِعَةً لِمُقَاوَمَةِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ.
4. أَعْرِضُ مُقْتَرَحَاتِي مُدَعَّمَةً بِإِحْصَائِيَّاتٍ وَصُوَرٍ وَفِيدِيُوهَاتٍ مُوَظِّفًا التِّكْنُولُوجِيَاتِ الْحَدِيثَةَ.

النّشاط 3 (عَمَلٌ جَمَاعِيٌّ بِمُرَافَقَةِ الْمُدَرِّسِ):

1. عَرْضُ الْبُحُوثِ وَالْمُقْتَرَحَاتِ أَمَامَ تَلَامِيذِ الْفَصْلِ.
2. إِثَارَةُ النِّقَاشِ مِنْ أَجْلِ إِبْدَاءِ الرَّأْيِ فِي الْعُرُوضِ شَكْلًا وَمُحْتَوًى.
3. اَلتَّأْلِيفُ بَيْنَ كُلِّ الْأَعْمَالِ (اَلْإِسْتِنْتَاجَاتُ/ اَلْقَرَارَاتُ).

النّشاط 4 (عَمَلٌ فَرْدِيٌّ):

أُقَدِّمُ مُلَاحَظَاتِي وَاسْتِنْتَاجَاتِي وَأُحَدِّدُ اتِّجَاهَاتِي ثُمَّ أَعْرِضُهَا عَلَى أَصْدِقَائِي.

اَلْإِعْدَادُ لِلتَّدَخُّلِ / الْفِعْلِ فَرْدِيًّا وَجَمَاعِيًّا لِلْحَدِّ مِنْ ظَاهِرَةِ الْعُنْفِ فِي الْوَسَطِ الْمَدْرَسِيِّ.

فهرس مكتبة العمل

تقديم 3

الدرجة الثالثة من التعليم الأساسي: 7

الوحدة الأولى : الماء

	الموارد	
	الجزء الأول	
1	الماء، الماء	10
2	قالوا في الماء	11
3	من أنا	12
4	المياه تغطي 2/3 الأرض	14
5	أهرامات تونس	15
6	ابن الشباط وتوزيع ماء الواحات	16
7	40 سدّا، أغلبها بأقصى الشمال..	17
8	السدود التونسية	18
9	سدّ بني مطير	19
10	تحلية الماء	20
11	قصيدة يا قطرة المطر	21
12	ونصيبي من الماء	22
13	زراعات نهمة للماء	24
14	النورس الطاقي	26
	الأنشطة	
1	العربية	30
2	الرياضيات	31
3	الإيقاظ العلمي	37
	الجزء الثاني	
1	البحث عن الماء في مناطق النّزاع	126
2	سدّ مأرب، لا حياة من دون ماء...	128
3	أغنية المطر	130
4	ليلة شتاء	131
5	مطر في المدينة	132
6	المطر الغريب	133
7	الحق في الماء	134
8	إياك والبحر	136
9	العطش والقحط	137
10	حنين 1	138
11	حنين 2	139
12	أنواع التلوّث المائي ومصادره	140
13	قالوا في الماء	142
	الأنشطة	
1	اللغة العربية	144
2	الرياضيات	145
3	الإيقاظ العلميّ	149

الوحدة الثانية : الغذاء

	الموارد	
	الجزء الأول	
1	العولة	44
2	الهدر الغذائي	47
3	أقوال مأثورة في الأكل	48
4	البطنة تذهب الفطنة	49
5	جحا ورائحة الشواء	50
6	المجاعة عالميّا	51
7	الحق في الغذاء	52
8	جني الزيتون (ج 1)	54
9	جني الزيتون (ج 2)	56
10	جني الزيتون (ج 3)	58
11	جني الزيتون (ج 4)	60
12	جني الزيتون (ج 5)	62
13	جني الزيتون (ج 6)	64
14	1.4 مليون طفل يواجهون خطر الجوع	66
15	خليج هان	67
16	من أجل أنماط غذائية صحية ميسورة الكلفة	68
17	السلسلة الغذائية	70
	الأنشطة	
1	العربية	74
2	الرياضيات	75
3	الإيقاظ العلمي	76
	الجزء الثاني	
1	الأطفال والغذاء والتّغذية	154
2	أقوال مأثورة عن كثرة الأكل	155
3	زيادة الوزن	156
4	دعاء الطفلة اليمنية 1	158
5	دعاء الطفلة اليمنية 2	159
6	دعاء الطفلة اليمنية 3	160
7	سوء التغذية عند الأطفال في العالم	161
8	مقتطفات من القرارات الدولية المتعلقة بحق الغذاء	162
9	كيف تؤثر عوامل التغذية في صحة الهيكل العضلي والهضمي؟	164
10	خارطة المجاعة حول العالم	165
11	المؤشر العالمي للجوع	168
12	المقامة المجاعيّة	169
13	الوكالات الأممية للأمن الغذائي	170
14	فاضل الطعام	172
15	الجوع لا ضمير له	173
16	شبكات الطعام	174
17	السلسلة الغذائية	175
	الأنشطة	
1	اللغة العربية	178
2	الرياضيات	179
3	الإيقاظ العلميّ	180